Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.23, Issue: 2016

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور– باكستان.
العدد الثالث والعشرون، 2016م.

الاستشهاد اللغوي عند برويز في "لغات القرآن"

(دراسة نقدية)

د. أبوبكر
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية
جامعة بنجاب، لاهور

Abstract:

The research paper deals with methodology of lexical citation in lexicography of Qurân by Ghulam Ahmad Parvaiz in the context of his book "*Lughaat ul Qurân"*. *Lughat ul Qurân* consists upon four volums. The lexicon is a central component of Parvaiz's Qurânic literature and served as a principle for Qurânic analysis.The most authentic method of *tafseer*، affirmed by Muslim theologians، is to explain the Qurân with Qurân. If it is not possible then to consuslt *sunnah* and statements of Companions. Parvaiz denied *sunnah* and all other authentic traditional sources of *tafseer*. He adopted free lexical methodology in citation from Arabic dictionaries to explain Qurânic words. He provides meanings of relevant word under its root, quotes the verses of Qurân and applies the meanings by his own choice.The lexical technique built up by Parvaiz to explain Qurânic

words has been analyzed and his deviation from the authentic principles of semantics has been surveyed in this paper.

غلام أحمد برويز (1903م-1985م) أحد أبرز العلماء العقلانيين المحدثين في شبه القارة الذي ألّف عشرات الكتب في الموضوعات العديدة عن الإسلام و حاول أن يوفر الأدلة والبراهين فيها إلى حد قدرته في ضوء عقائده ونظرياته. قد تأثر برويز من فكر العلماء العقلانيين مثل السيد أحمد خان(ت 1898م) و بركت الله بوهالي(ت1927م) وأحمد دين امرتسري(ت1932م)، وعبيد الله سندي (ت1944م) واسلم جيراجبوري (ت1955م) وعبدالله جكرالوي(ت1936م) ونياز فتح بوري (ت1966م). إنه أخذ منهج التفسير في تعبير المعجزات العقلي و المادي من السيد أحمد خان(ت 1898م)كما أخذ فن استخدام معاجم اللغة العربية والاستفادة من المصادر العربية من تمنا عمادي (ت1972م)[1].

أصدر برويز مجلة "طلوع إسلام" من دهلي سنة 1938م وتعطل إصدارها في سنة 1942م و أصدرت هذه المجلة بعد تقسيم الهند من جديد في يناير 1948م من كراتشي. ثم انتقل برويز بمجلته إلى لاهور في سنة 1985م[2]، و أصبحت المجلة ترجمان فكر برويز و العلماء العقلانيين يذهبون إلى التفسير العقلي للقرآن الكريم و المنكرين لحجيّة الحديث في التشريع الإسلامي في باكستان. إنّ برويز شمر عن ساق الجد لنشر فكر التجديد و الردّ على العلماء المسلمين المؤيدين لحجية السنّة الشرعية. إن عدد مؤيدي فكر برويز قليل في باكستان وإنه واجه معارضة شديدة من قبل علماء أهل السنة لنظريته حول السنة النبوية والفقه الإسلامي وتفسير القرآن بالمأثور[3]. و لامراء في أن مجلة "طلوع إسلام" زادت في خزانة الأدب الأردي الديني بصورة آلاف من المقالات المكتوبة حول المباحث الإسلامية و الإجتماعية والسياسية من قبل برويز و الردّ عليه من قبل العلماء المعارضين له. قد نشرت المجلات الأردية مثل "ترجمان القرآن" للسيد المودودي و"الاعتصام" و"

المحدث"وغيرها مئات من المقالات ردّا على مقالات برويز. و الجدير بالذكر هنا أن كتاب السيد المودودي الشهير "سنت كي آئيني حيثيت" أي: "مقام السنة في التشريع الإسلامي" يحتوي على مقالات كتبت ردّا على فكر برويز حول السنّة النبوية في مجلة "ترجمان القرآن"[4].

إن "مؤسسة طلوع الإسلام" التي أسسها برويز بنفسه نشرت طبعات عديدة لكتبه حول القرآن الكريم و هي : 1- لغات القرآن : يحتوي على أربعة مجلدات في شرح مفردات القرآن، 2- مطالب الفرقان : يحتوي على سبعة مجلدات، إنه يفسر القرآن بالقرآن فيه باستخدام منهجه العقلاني، 3-مفهوم القرآن :يشتمل على مفهوم القرآن كما يظهر من اسمه و يحتوي على ثلاثة مجلدات ويحيط كل مجلد بمفهوم عشرة أجزاء للقرآن الكريم، ٤-تبويب القرآن :يحتوي على ثلاثة مجلدات. إن برويز جعل الطريقة اللغوية المبدأ الأعلى لتفسير القرآن ويظهر أثر هذا المبدأ اللغوي واضحاً في تفسيره للعبارات القرآنية وأنه ألف "لغات القرآن"(معجم مفردات القرآن)، والذي نحن بصدده هنا لاستفادة متعلمي القرآن في فهمه على المنهج اللغوي معرضا عن المصادر التفسيرية المأثورة.

لغات القرآن:

إن كلمة "لغات" تستخدم بمعنى المعجم أو القاموس مذكراً [5] باللغة الأردوية، فالمراد من لغات القران معجم مفردات القرآن. إن كثيراً من العلماء في شبه القارة إهتموا بكتابة "معاجم القرآن" بالأردية كما عنيت ترجمة القرآن فيها۔ إن معاجم مفردات القرآن كتبت في الأردية على نوعين: النوع الأول – المعاجم التي كتبت على طراز المعاجم العربية حسب مادة الكلمة على ترتيب الفبائي۔ والنوع الثاني– المعاجم التي كتبت حسب ترتيب آيات القرآن من السور والأجزاء للقرآن الكريم۔ ويجب على من يريد الاستفادة من النوع الأول أن يعرف مبادئ علم الصرف، و للاستفادة من النوع الثاني، يجب للطالب أن يعرف مواضع الكلمات في الآيات والسور من القرآن.

"لغات القرآن"لبرويز:

قد ألّف غلام احمد برويز(1903م-1985م) معجم مفردات القران باسم "لغات القرآن" فهو يحتوي على أربعة مجلدات تحيط بألف وثمان مائة وثمان وعشرين صفحة و بذل برويز عشر سنوات من حياته لفهم لغة القرآن وكتابته[6]. وقد نشر الطبعة الأولى للمجلد الأول في مارس 1960م، والمجلد الثاني في أكتوبر 1960م، والمجلد الثالث في يناير 1961م، والمجلد الرابع في إبريل 1961م، وطبعت طبعتها الجديدة السادسة سنة 2006م.

أهداف "لغات القرآن":

يقول برويز بأنه ألّف هذا الكتاب للشبّان المسلمين المثقفين ليفهموا القرآن بطريقة مباشرة، فعلى حد قوله: "إن كتابي "معارف القرآن" ومؤلفاتي الأخرى ومقالاتي قد غرست الروح في الشبّان المسلمين الغير المتديّنين فكرة التدبر في القرآن. و هذا كان هدف محاولتي من السنوات أن أقرّب هؤلاء الشبان إلى القرآن ليفكروا في آياته مباشراً- ولما دنوا إلى القرآن فطلبت منهم أن يحاولوا فهم القرآن مباشراً، فأجابوا بأنهم لايستطيعون أن يفهموا القرآن من تراجمه وتفاسيره المتداولة. ووصلت إلى النتيجة بعد التفكير لمدة طويلة أن معجم مفردات القرآن محتويا على المفاهيم القرآنية سيحل هذه المشكلة، فبحثت مثل هذا المعجم لمدة طويلة ولكن لم أجده، فشمرت عن جد الساق لتأليف لغات القرآن"[7].

إنه كتب مقدمة شاملة في بداية الكتاب يتناول فيها مباحث عن أهمية معرفة اللغة العربية في فهم القرآن، وبلاغة العربية وفصاحتها والمراجع الخارجية في فهم مفردات القرآن ،ثم يبحث فيها كيف تأثرت اللغة العربية من المظاهر الخارجية وصرفت معانيها من مدلولاتها الحقيقية وكيف تأثر تفسير القرآن من الآثار العجمية، فإنه يقول: " إن طالب التاريخ الإسلامي يعرف هذه الحقيقة بأن النظريات العجمية انتشرت في المجتمع الإسلامي في العصر العباسي- لقد تولى العباسيون الخلافة بمساعدة الفرس وقد قدر الخلفاء العباسيون لهم، فقلدوهم

المناصب العالية المدنية والعسكرية، إلا أن الفرس حاولوا منازعة الخلفاء واستغلال السلطة لإعادة المركز القديم لبلاد الفارس- إن أغلبية فقهاء اللغة والكتّاب وعلماء التفسير والمحدثين كانت تنتمي إلى الفارس، فهكذا أصبحت اللغة العربية حاملة لنظريات العجم في عصرها الأول من التصنيف والتأليف- ومن الواضح، عندما تأثرت اللغة العربية بالعوامل الخارجية وصرفت معانيها من مدلولاتها الأصلية، فانحرفت مفاهيم مفردات القرآن حسب البيئة- وتفاسير القرآن دُونت في هذه البيئة فإنها تأثرت بالنظريات العجمية وبعدت عن الروح الأصلي التي كانت عليه في عصر النبيﷺ "[8].

ثم ينتقد برويز منهج المفسرين القدماء قائلا: "عندما بدأ المفسرون يكتبون تفسير القرآن (في القرن الثالث والرابع للهجرة)فإنهم سلكوا على منهج غريب وهو أنهم كتبوا أسباب النزول لكل آية هامة من القرآن وفسروها طبق الأحوال التي أصبحت سبب نزولها في زعمهم وعينوا معاني مفردات القرآن حسب هذا المفهوم. وكل من جاء من بعدهم من المفسرين فإنه اتبعهم في المنهج التفسيري. ولأن روايات أسباب النزول نسبت إلى النبيﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، فزُعم هذا التفسير من رسول اللهﷺ بالرغم من أن أكثر هذه الروايات ضعيفة وموضوعة و أنكرها كثير من الأئمة حتى قال أحمد بن حنبل (ت 214هـ):" ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمغازي " والواضح من قوله أن الروايات التي وردت في التفسير لا أصل لها وليست بصحيحة- ولا نستطيع أن نعين معاني المفردات القرآنية حسب هذه الروايات ولو فعلنا هكذا لأخطأنا بالضبط و ابتعدنا عن معانيها الحقيقية التي كانت لها عند نزولها"[9].

مصادر لغات القرآن:

إن برويز استفاد من المصادر اللّغوية ولاسيّما من المعاجم في تدوين "لغات القرآن" والكتاب الذي استند عليه أكثر من الكتب اللغوية الأخرى هو

"تاج العروس" للزبيدي (ت 1206هـ). إنه يقول: "وعندما أردت كتابة "لغات القرآن" فركزت على ثلاثة كتب من المعاجم المشهورة وهي لسان العرب لابن منظور الإفريقي (ت711هـ) والقاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي (ت 817هـ) وتاج العروس للزبيدي (ت 1206هـ) وقصدت أن أعتمد على "تاج العروس" من حيث المبدأ والأصل،لأنه ملخص لجميع الكتب اللغوية القديمة"[10].

إنه اعتمد على المعاجم "تاج العروس" و"لسان العرب" و"القاموس المحيط" و"الصحاح" للجوهري (ت 393هـ) و"مقاييس اللغة" لابن فارس(ت 395هـ) و"محيط المحيط" لبطرس بستاني و"البستان" لعبد الله البستاني اللبناني (ت 1930م).

والكتب في فقه اللغة التي رجع إليها برويز هي :"فقه اللغة وسر العربية " لأبي منصور عبد المالك بن محمد الثعالبي (ت429هـ) وكتاب"الاشتقاق" لابن دريد الأزدي (ت213هـ) و"الألفاظ المترادفة" لعلي بن عيسي الرماني (ت 384هـ) و"العلم الخفاق في علم الإشتقاق" لصديق حسن خان قنوجي(ت 1889م) و"أقرب الموارد" لسعدي الخوري اللبناني (ت1912م).

إنه اعتمد على كتابين من غريب القرآن وهما: "المفردات في غريب القرآن" للحسين بن محمد بن المضل الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) و" كتاب القرطين" لابن قتيبة الدينوري(ت 277هـ).

ورجع إلى بعض كتب التفسير مثل "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" لأبي القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري (ت 538هـ) و"تفسير الجلالين" لجلال الدين المحلي (ت 864هـ) وجلال الدين السيوطي (ت 911هـ) و"تفسير المنار" لرشيد رضا (ت1354هـ).

منهجه في الاستشهاد اللغوي:

إن برويز سلك على المنهج اللغوي الحر في الاستشهاد من المعاجم ويكتب معنى لغويا تحت كل مادة ثم يقدم أمثلة من لغة العرب، وبعد تعيين المفهوم اللغوي للكلمة، يأتي بالآيات القرآنية التي استخدمت فيها هذه الكلمة، وأحيانا يشرح الكلمات الهامة و المصطلحات الخاصة في ضوء العلم ويطلقها على المكتشفات العلمية الحديثة. ويقول عن منهجه بأنه يركز على النقاط التالية في الاستشهاد اللغوي للكلمات القرآنية:

1ـ يجب علينا أن نرى مادة الكلمة ومفهومها وخاصيتها الأساسية أولا، لأن خاصيتها تلمح في كل هيكل تصرف الكلمة إليه.

2ـ ثم نرى ما كانت مدلولات هذه الكلمة عند العرب البادية ونعرف الحقيقة للكلمة من عرف العرب في استخدامها الحسي، وليس من الممكن أن نفهم مفهوم الألفاظ الحقيقي بدون تعيين التصورات، وهذه قاعدة أساسية يركز عليها علم الدلالة (Semantics) في عصرنا الحديث.

3ـ وبعد ذلک نرى مواضع الكلمة في الآيات القرآنية و الألوان التي استخدمت فيها.

٤ـ وأهم من كل ذلک أن نلاحظ التصور الكلي لتعليم القرآن ونتبع القاعدة الأساسية بأن مفهوم مصطلحاته ومفرداته لا تعارض لتعليمه الأساسي ـ وهذا يمكن لنا عندما نجتنب من المؤثرات الخارجية خلال دراستنا للقرآن الكريم ـ إن الله تعالى بيّن القرآن نوراً و النور لا يحتاج إلى أي وسيلة خارجية لظهوره[11].

ثم ينقل قول محمد عبده (ت 1905م):" أحدهما : فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن بحيث يحقق المفسر ذلک من استعمالات أهل اللغة، غير مكتف بقول "فلان وفهم فلان"، فإن كثيراً من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلک بزمن قريب أو بعيد. من ذلک لفظ " التأويل" : اشتهر بمعنى التفسير مطلقاً أو على وجه مخصوص، ولكنه جاء

في القرآن بمعان أخرى كقوله تعالى (هل ينظرون إلا تأويل،يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) فما هذا التأويل؟ يجب على من يريد الفهم الصحيح أن ينتبع الاصطلاحات التي حدثت في الملكة؛ ليفرق بينها وبين ما ورد في الكتاب- فكثيرا ما يفسر المفسرون كلمات القرآن بالاصطلاحات التي حدثت في الملة بعد القرون الثلاثة الأولي، فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله- والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه ،فربما استعمل بمعان مختلفة كلفظ "الهداية" ..... قد قالوا: إن القرآن يفسر بعضه ببعض وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ: موافقته لما سبق له من القول واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملة[12]-

نجد برويز قد حرص كل الحرص على الطريقة اللغوية التي تعتبر عنده المبدأ الأعلى لتفسير القرآن ويظهر أثره واضحا في تفسيره للعبارات القرآنية التي تصادم أصوله، فنراه يحاول أولا إبطال المعنى الذي يراه مشتبها في اللفظ القرآني ثم يثبت لهذا اللفظ معنًى موجوداً في اللغة يزيل هذا الاشتباه ويتفق مع أسلوبه ويستشهد على ما يذهب إليه من المعاني التي يحمل الفاظ القرآن عليها بأدلة من اللغة والمعاجم العربية-

إنه يكتب في شرح آية ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾[13]: إن أصحاب رؤوس الأموال والمدخرين يظنون أن النظام الذي أقاموه لا يستطيع أحد أن يغيّره ويقول القرآن فأنهم في الغرور، وسيغيّر هذا الوضع الراهن في يوم عظيم الذي يخرج الناس فيه على هذا النظام المستبد و يقوم نظام الربوبية في هذه الدنيا[14]-

أسلوب هذه الآيه مع سياقها تدل على أنها بيان عن الحياة في جهنم في الآخرة ولكن برويز أبطل هذا المعنى الظاهر وأطلقه على الحياة الدنيا وحاول أن يستدل منها على الثورة الاشتراكية كما أنه يفعل في شرح كثير من الآيات تدل على حياة الآخرة[15]-

يكتب برويز في كلمة "بعثر": "بعثر الشيء إذا استخرجته وكشفته وبعثر متاعه أي بحثره وقلبه وفرّقه وبدّده وقلب بعضه فوق بعض "[16]ـ ثم يقول :"قد ورد في القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾[17] أي إذا أخرجت الأشياء المدفونة في الأرض بعد البحث والتفتيش"[18] أنه أطلق "بعثرة القبور" على المنكشفات العلمية الحديثة مثل بترول وغاز طبيعي بالرغم ان سياق الآية وسباقها تدل على بيانها عن يوم القيامة كما قال الله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ، وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ، وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾[19].

والظاهر أن الانفطار هو المعبر عنه بالانشقاق أيضاً في سورة الانشقاق وهو حدث يكون قبل يوم البعث وأنه من أشراط الساعة لأنه يحصل عند إفساد النظام الذي أقام الله عليه حركات الكواكب وحركة الأرض وذلک يقتضيه قرنه بانتثار الكوالكب وتفجر البحار و تبعثر القبور و بعثرة القبور: حالة من حالات الانقلاب الأرضي والخسف خصت بالذكر من بين حالات الأرض لما فيها من حول باستحضار حالة الأرض وقد ألقت على ظاهرها ماكانت في باطن المقابر من جثث كاملة ورفات، فان كان البث عن عدم كما مال إليه بعض العلماء أو عن تفريق كما رأه بعض آخر،فان بعث الأجساد الكاملة يجوز ان يختص بالبعث عن تفريق ويختص بعث الأجساد البالية والرمم بالكون عن عدم" [20].

ثم يكتب برويز :في شرح آية : ﴿ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾[21] إن القرآن الكريم قد استخدم "من في القبور" كناية للناس الذين فقدوا نضارة الحياة وغضارتها أو تباروا في الجهالة والتعصب إلى الغاية أن لا تؤثر عليهم موعظة أو نصيحة"[22]. ومن العجيب أن برويز أغمض عينيه عن الآيتين بعد هذه الآية في سورة العاديات. ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾[23] وقال المفسرون: «وحصُّل ما في الصُّدورِ» أي: ميز ما فيها من خير وشر[24].

وكثير من الآيات تدل بأدلة قاطعة على إمكان البعث وتنظيره كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[25]- إن خلق الإنسان وأحوال إحياء الأرض المذكورة في هذه الآيات دالة على هذه الأمور الخمسة :إما بدلالة المثيل على الممثل والواقع على إمكان ذلک حق التصديق بوقوعه لأنهم لم يكن بينهم وبين التصديق به حائلا إلا ظنهم استحالته، فالذي قدر على خلق الإنسان عن عدم سابق قادر على إعادته بعد اضمحلالة الطارئ على وجوه الأحري، بطريقة[26]ـ واستدل سبحانه وتعالى منها على وقوع الساعة أي القيامة وانبعاث الموتى من القبورـ

ونرى أن برويز إذا مر بلفظ القرآن يعبر عن القيامة وما بعدها من العذاب والعقاب، يحاول أن يطلقه على الحياة الدنيا كما يكتب في مفهوم آية ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[27]: ''أي أن عذاب الذلة والمسكنة يأتي عليهم متواصلاً متكرراً. وإذا سقطت قوتهم بهزيمة مرة فنهضوا مرة أخرى للمعارضة وذاقوا لذة الهزيمة والمسكنة و ضعفت قوتهم بعد الهذائم المتواصلة دائما، و هكذا انكسرت صلابتهم و شتت شملهمـ ونرى كتبت عليهم الهزيمة من غزوة بدر إلى فتح مكة وهكذا ينهزمون أبداً''[28]ـ إن برويز أغمض عينيه عن الجزء الأول لهذه الآية و هو : ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم ـــــالخ﴾ وفيه تهديد و وعيد لجميع الكافرين فهي أعم مما قبلها، فلها حكم التذييل، ولذلک فصلت والإصلاء: مصدر أصلاه ويقال: صلاه صليا، ومعناه شيّ اللحم على النار وقد تقدم الكلام على "صلى" عند قوله تعالى ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[29] وقوله ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ

نَارًا﴾[30] ونضجت بلغت ناهية الشي، يقال :نضج الشواء إذا بلغ حدّ الشي، ويقال: نضج الطبيخ إذا بلغ حدّ الطبخ- والمعنى: كلما احترقت جلودهم، فلم يبق فيها حياة وإحساس- بدّلناهم، أي عوّضناهم جلوداً غيرها، والتبديل يقتضي المغايرة كما تقدم في قوله في سورة البقرة ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾[31] فقوله: (غيرها) تأكيد كما دّل عليه فعل التبديل. وقوله (ليذوقوا العذاب) تعليل بقوله: (بدلناهم) لأن الجلد هو الذي يوصل إحساس العذاب إلى النفس، وتبديل الجلد مع بقاء نفس صاحبه لا ينافي العدل لأن الجلد وسيلة إبلاغ العذاب وليس هو المقصود بالتعذيب، ولأنه ناشئ عن الجلد الأول كما أن إعادة الأجسام في الحشر بعد اضمحلالها لا يوجب أن تكون أناسا غير الذين استحقوا الثواب والعقاب لأنها لما أودعت النفوس التي اكتسبت الخير والشر فقد صارت هي ولا سيّما إذا كانت إعادتها عن إنباث من أعجاب الأذناب، حسبما ورد به الأثر، لأن الناشئ هو منه كالنخلة من النواة[32]. ولا نجد أي قرينة مانعة من إيراد المعنى الحقيقي من (الجلد) في هذه الآية-

كذلك نرى برويز إذا مرّ بلفظ يشتبه عليه ظاهره ولا يتفق مع فكره، يحاول بكل جهوده أن يبطل هذا المعنى الظاهر وأن يثبت للفظ معنى آخر موجوداً في اللغة -كما فعل ،على سبيل المثال، في شرح كلمة "الدين". قد وردت كلمة "الدين" ومشتقاتها في القرآن الكريم في (95) خمسة وتسعين موضعا، وقد استعملت بخمسة معان:

1. دين الإسلام: نحو قوله تعالى :﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[33] وقوله تعالى :﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[34]-

2-القهر والغلبة : نحو قوله تعالى:﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ،تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[35]-

3- الطاعة: نحو قوله تعالى:﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[36]

4ـ الشريعة: نحو قوله تعالى:﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾[37]

5ـ الحساب والجزاء والعقاب: نحو قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[38] و:﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[39]

والدين في المصطلح الشرعي قانون سماوي سائق لذوي العقول إلى الخيرات بالذات كالأحكام الشرعية النازلة على نبينامحمد صلى الله عليه وسلم [40]ـ

إن برويز استعمل معنى "الدين "في شرح الآيات القرآنية حسب هواه وانصرف عن مدلولها الحقيقي كما أنه يكتب في مفهوم آية :﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[41] "إنه من الضروري أن تسحب القوات المستبدة الحائلة في نشأة نظام الربوبية وهذه مرحلة أولى للحمد و الثناء لرب العالمين ثم يقام النظام الاجتماعي الذي لا يكون فيه الإنسان محكوما و محتاجا للإنسان الآخر وذاك اليوم يكون السلطة وغلبة لله تعالى فيه"[42]ـ

إنه يريد ان يستخدم مصطلح "يوم الدين" في معنى يوم الثورة والانقلاب في هذه الدنياـ واتفق الجمهور ان المراد من "يوم الدين" هنا يوم الجزاء والعقاب،كما يقول الطبري(ت 310هـ): "مالك يوم الدين" أن لله الملك يوم الدين خالصاً دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكاً جبابرة ينازعونه الملك ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبريةـ فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصغرة الأذلة، و أنّ له دونهم ودون غيرهم الملك والكبرياء والعزة والبهاء،كما قال جلّ ذكره وتقدّست أسماؤه في تنزيله: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِمَنِ الْمُلْكُ اليوم ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[43]، فأخبر تعالى، أنّه المنفرد يومئذٍ بالملك دون ملوك الدّنيا الذين صاروا يوم الدّين من ملكهم إلى ذلّة وصغارٍ، ومن دنياهم في المعاد إلى خسارٍ[44]ـ إن كلمة "الدين" استخدمت في القرآن الكريم هنا بمعنى الحساب والجزاء والعقاب وبرويز يعبر هذ الجزاء والعقاب في الدنياـ ويكتب في مفهوم آية ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[45]ـ

"إن الكفار والمشركين يعذبون بأيدي جماعة المؤمنين في الحروب الآتية"[46]ـ

إنّ الآيات السابقة تدل على أن المراد من "الدين" هنا العقاب في الآخرةـ وهكذا أنه انحرف عن مدلولات المفردات الحقيقيةـ

يقول برويز في مفهوم آية :﴿اليوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمتى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾[47]- "أكملت السلطة الدينية على اعدائكم بعد نهاية زمن ضعفكم ووهنكم وهكذا أتممت عليكم النعم التي كنتم تتمنونها"[48]ـ

وبين برويز معنى "دينكم" أي سلطتكم الدينية وهذا انحراف تفسيرى كما أن العبارة ما بعدها في الآية: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾تدل على اكتمال دين الإسلام على الرسولﷺ وأصحابه كما يقول الزمخشري(ت 538هـ) "أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمتى﴾ بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين، وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحجّ معكم مشرك، ولم يطف بالبيت عريان. أو أتممت نعمتى عليكم بإكمال أمر الدين والشرائع كأنه قال: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى بذلك، لأنه لا نعمة أتمّ من نعمة الإسلام (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِ سْلامَ دِيناً) يعني اخترته لكم من بين الأديان، وآذنتكم بأنه هو الدين المرضى وحده (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْه)[49-50]. والمراد من (الدين) شريعة الله التي اكمل الله على نبيهـ

وفي شرح مادة (ن س و)، يكتب عن آية: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[51] "المراد من (أَبْنَاءَكُمْ) في هذه الأية : الرجال الأقوياء من بني اسرائيل و (نساءكم) هم الرجال الضعفاء من بني اسرائيل و استخدم القرآن هاتين الكلمتين مجازا [52].

وهكذا يشير في مادة (ج ب ل) إلى الآيات التالية : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[53] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾[54] ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[55] و يشرح كلمة الجبل فيها: "في هذه الآيات القرآنية استخدمت كلمة الجبل في معنى الأعيان الكبار العظماء والرجال الأقوياء وبعكسها جاءت كلمة الأرض التي تعني الطبقة الرذيلة من القوم"[56].

ثم يقول: ورد كلمة "أرض" مع "جبال" في القرآن والمراد من الجبال في هذه المواضع هو كبار القوم والمراد من الأرض مستضعفون وكلمة "أرض وسموات" تطلق على ارتفاع وانحلال وكبوت وأينما هاتان كلمتان تتعلقان بالحياة الإنسانية فمعنى السماء "قانون الله تعالى الكوني" ومعنى الأرض "حياة الإنسان الاقتصادية"[57]. ويكتب في مفهوم الآية: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾[58] "وفي هذه الثورة أن الرؤساء والمتمولين (الجبال) تزلزل أقدامهم من مناصبهم الجليلة ويبروزن الضعفاء (الأرض) الذين وطأتهم أقدام الأكابر ويمحو التفريق المتشكل بأيدي الناس في النظام الإسلامي"[59].

ومن العجيب أن برويز يعني الجبال في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ أي أعيان القوم والأرض طبقة منبوذة من القوم، بالرغم أنّ القرآن يبين تسيير الجبال ونقلها من مواضعها بزلزال أرضي عظيم، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[60] وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[61] وقيل أطلق التسيير على تناثر أجزائها. فالمراد: يوم نسير كل جبل من الجبال، فيكون كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾[62]وقوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾[63] وقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[64]

يقول الزمخشري (ت 538هـ): تسير الجبال أي تسير في الجو والأرض بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها[65] ويقول القرطبي: المراد من "الأرض بارزة" أي برز فيها من الكنوز و الأموات[66].

في مادة (س ن و) يفرق برويز بين السنة والعام بعد شرح كلمة سنة واستدل من آية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[67]. وملخص قول برويز في مفهوم هذه الآية وشرحها كمايلي:

1- نجد في التواريخ القديمة مكتوباً أن أكثر الملوك لبثوا عمراً طويلاً في الدنيا ويعبر اليوم عنهم بأن المراد من عمر أي ملك هو الفترة التي حكمت فيه أسرته وكذلك زمان حكومة الأسرة يعبر عمر جدها الأعلى وقس على ذلك عمر نوح عليه السلام بأن عمر شريعته هي تسع مائة وخمسين ثم بدأت فترة شريعة إبراهيم عليه السلام.

2- وقال الله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ وهناك فرق بين سنة وعام. السنة تدل على الفترة التي مرّت في الشقاوة والشدة والعام يدل على الزمان مرّ في الراحة والسعادة.وبهذا المفهوم أكاد أن أقول أنّ دعوته جرت بالفور لخمسين عاماً ولكن بدأ عصر الشقاوة بعد وفاته على متبعيه.

3- إن كلمة سنة أيضا تطلق على فصل ويحتوي كل عام على أربعة فصول، وبهذا الحساب صارت مدة ألف سنة مائتين وخمسين عام وتبقي مائتا عام بعد خروج خمسين عاماًمنهاـ و هذا العمر كالمعتاد ،ليس بعيدا من القياس لأي رجل وقتئذٍ[68].

كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة،بعث على رأس أربعين، ولبث في قومه تسعمائة وخمسين، وعاش بعد الطوفان ستين. وهناك حكمة بالغة في الاستثنا في العددـ قال بعض العلماء الاستثناء في العدد تكّلم بالباقي، فإذا قال القائل لفلان على عشرة إلاّ ثلاثة، فكأنه قال على سبعة إذا علم هذا فقوله: ألف سنة إلاّ خمسين عاما كقوله تسعمائة وخمسين سنة[69].

فما الفائدة في العدول عن هذه العبارة إلى غيرها؟ قال الزمخشري فيه فائدتان، إحدٰهما: إن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظنّ به التقريب،فإن من قال: عاش فلان ألف سنة يمكن أن يقرهم أن يقول:ألف سنة تقريباً لاتحقيقاً، فإذا قال إلاّ شهراً أو إلاّ سنة يزول ذلک التوهم و يفهم منه التحقيق ـالثانية: هي أن ذكر لبث نوح عليه السلام في قومه كان لبيان أنه صبر كثيرا فالنبي ﷺ أولى بالصبر مع قصر مدة دُعائه[70].

يقول الرازي (ت606هـ): قال بعض الأطباء العمر الإنساني لا يزيد على مائة وعشرين سنة والآية تدل على خلاف قولهم والعقل يوافقها فإن البقاء على التركيب الذي في الإنسان ممكن لذاته، و إلا لَمَا بقي، ودوام تأثير المؤثر فيه ممكن لأن المؤثر فيه إن كان واجب الوجود فظاهر الدوام وإن كان غيره فله مؤثر، وينتهي إلى الواجب وهو دائم، فتأثيره يجوز أن يكون دائما فإذن البقاء ممكن في ذاته ،فإن لم يكن فلعارض لكن العارض ممكن العدم وإلا لما بقي هذا المقدار لوجوب وجود العارض المانع فظهر أن كلامهم على خلاف العقل والنقل ثم نقول لا نزاع بيننا وبينهم لأنهم يقولون العمر الطبيعي لا يكون أكثر من مائة و عشرين سنة ونحن نقول هذا العمر ليس طبيعيا بل هو عطاء إلهي،فأما العمر الطبيعي فلا يدوم عندنا ولا لحظةً،فضلاً عن مائة أو أكثر[71].

أمّا تقسيم السنة في ثلاثة شهور و تفريق بين السنة والعام بأن السنة جزء من العام لا تؤيده لغة العرب.كتب أبو الهلال العسكري (ت395هـ) في الفروق: إن العام أيام والسنة جمع شهور ألا ترى أنه لما كان يقال أيام الزنج قيل عام الزنج و لما لم يقل شهور الزنج لم يقل سنة الزنج ويجوز أن يقال العام يفيد كونه وقت الشيء والسنة لا تفيد ذلک ولهذا يقال عام الفيل ولا يقال سنة الفيل، ويقال في التاريخ سنة مائة وسنة خمسين ولا يقال عام مائة وعام خمسين إذا ليس وقت الشيء مما ذكر من هذا العدد ومع هذا فإن العام هو السنة، والسنة هي العام وإن اقتضي كل واحد منهما ما لا يقتضيه الآخر مما ذكره كما

أن الكل هو الجمع والجمع هو الكل وإن كان الكل إحاطة بالأبعاض والجمع إحاطة بالاجزاء[72].

هكذا نراه يقف أمام الآيات التي تبدو في ظاهرها غريبة مستبعدة، موقف النفور من جواز إرادة المعنى الحقيقي والتخلص من هذا الظاهر المستغرب بحمل الكلام على المجاز والتشبيه.

ولا مراء في أن القرآن يمثل القمة العالية في كمال الأسلوب وبراعة النظم، ويقبل في نفسه من المجازات والاستعارات، ولكن العلماء اتفقوا على أنه لا يجوز العدول عن الظاهر إلا بقرينة تمنع من إرادة الحقيقة. ولا يجوز أن يحرّف اللفظ عن الظاهر إلى غيره من التمثيل أو التخييل إذا أمكن حمله على الظاهر و وجب حمله عليه و قبح صرفه إلى غير ما يتبادر منه.

هذا من الظاهر أن العلماء وضعوا أصول المجاز .ماهو المجاز؟ "المجاز خلاف الحقيقة وهي ما لم تجاوز موضوعها الذي وضع لها والحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له في أصل اللغة"[73].

و أذكر بعض القواعد التي تتعلق بالحقيقة والمجاز في التفسير عند العلماء كالتالي:

1. الأصل في الكلام حقيقة والمجاز خلف عنه، فلا يصار إليه إلا لضرورة[74].
2. إذا كان الكلام يحتمل أكثر من مجاز فحمله على الأقرب واجب[75].
3. إذا كانت الحقيقة مستعملة غير متعذّره ولا مهجورة والمجاز متعارفا وأكثر استعمالا في العرب فالحقيقة أولى من المجاز عند أبي حنيفة [76].
4. الحقيقة المتعذرة أو المجهورة متروكة بالاجماع فيجب المصير إلى المجاز.
5. حمل اللفظ على الحقيقة العرفية أولى من حمله على المجاز العرفي.
6. إذا غلب استعمال المجاز حتى ساوي الحقيقة تقدم الحقيقة عليه.
7- المجاز الراجح على الحقيقة يقدم عليها
8- المجاز المرجوح لا يقدم على الحقيقة الراجحة[77]

وهذا من المعلوم أننا ننصرف من الحقيقة إلى المجاز عندما لا يمكن أن يعبر الظاهر على المفهوم المطلوب ولكن كلمات "أرض وسماء و جبل و نساء و أبناء" تدل على ظاهرها في هذه الآيات كما فسرها المفسرون وذكرتها في الأسطر السابقة و ليست هناك أي قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي للكلمات المذكورة ـ

الملاحظات حول لغات القرآن:

إن المؤلف بذل جهوده في أن يقدم مفهوم كلمات القرآن في طرازه الخاص ويعبرها تعبيره المطلوب ـ فان الكتاب مع أهميته وقيمته الأدبية لا يخلو من بعض الملاحظات التي أذكر منها:

1ـ إنه استفاد من المصادر اللغوية والتفسيرية وأشار إليها ولكنه لم يذكر رقم الصفحة أو المجلد للكتاب المحول إليه، على سبيل المثال، أنه يكتب في شرح مادة(أ ل ك) : قد كتب محمد عبده (ت1905م) في تفسيره "تفسير المنار"ـــــالخ[78] ومن الواضح أن "تفسير المنار" ليس بمعجم نرى فيه موقف محمد عبده في مادة (أ ل ك) ،فإنه كتاب تفسير القرآن يحتوي على المجلدات العديدة وكان يجب على المؤلف أن يشير إلى عدد المجلد وصفحته أو عدد الآية مع سورتها ـ أما قوله: "كتب محمد عبده في تفسير المنار" لا يوافق أصول البحث كما أنه من المعلوم أن رشيد رضا (ت1935م) ألف "تفسير المنار" و دوّن فيه أفكار أستاذه محمد عبده (ت 1905م) في تفسير القرآن المقتبسة من دروسه[79].

هكذا في مادة "ذرر" أنه نقل قول ابن عباس (ت 68هـ) رضي الله عنهما ثم قدم رأي أبي الكلام آزاد (ت1958م) في شرح آية : ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾[80] ولكنه لا يذكر مصدرا أو مرجعاً لهذه الأقوال[81].

2ـ و يذكر أحياناً مفهوم الكلمة في الآية بعد شرحها اللغوي ويكتب: "هذا معنى لغوي للكلمة واستخدمها القرآن هنا مجازاً، فارجع إلى مادة فلان لتعيين مفهومها المجازي". لكنا لا نجده فيها ـ كتب ،على سبيل المثال، في مادة

(ثعب): قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾[82] فمعناها اللغوي ـــ الخ، فعليك أن ترجع إلى مادة (ع ص و) لمفهوم (ثعبان) المجازي[83]. ولكنا نجد في مادة (ع ص و) أنه يذكر المعاني المجازية للآية ﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾[84] و﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبحرَ﴾[85] ولكنه لم يذكر معنى "ثعبان" المجازي في المادة المذكورة[86].

3ـ وينسب أحيانا آرائه الذاتية إلى القرآن،كما يكتب في مادة (ج ن ن): كانت أرضنا كرة حارة في البداية ومرّ عليها آلاف مليون سنة حتى أصبحت معتدلة الجو للحياة الإنسانية، و القرآن يقول حينما الإنسان لم يسكن على الأرض، فسكن عليها مخلوق يقدر على أن يحتمل الحرارة الشديدة، ثم اندرس هذا المخلوق و خلفه الإنسان في الأرض[87]. ما أشار برويز إلى الآية أو السورة التي أخبر الله تعالى فيها عن المخلوق الدارس.

4ـ فانه يبين كثيرا من الوقائع التاريخية بالظن والقياس ولا يشير إلى مصدرها. يقول تحت كلمة (ه د د): يسمّى الطائر المخصوص بهد هد ولكن في قصة سليمان عليه السلام أن هدهد هو اسم الجندي من جنود سليمان وكان من عادة الناس أن يسموا الأشخاص والقبائل بأسماء الطيور وقتئذ كما توجد هذه العادة عامة عند الإنجليز اليوم بأن أسماء (Fox أي ثعلب) و (Lamb أي خروف) وغيرهما سائدة عندهم. و ورد اسم هدهد في التوراة أكثر من مرة وذكر صاحب لسان العرب:كان هُداهد قبيلة من يمن، و كتب صاحب تاج العروس كان هَدَد أحد من ملوك الحمير الذي كان معاصرا لسليمان[88].

ويكتب في مفهوم آية ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾[89] "في منزل من منازل السفر،طلب سليمان جنود الفرسان الذين لم يحضروا حينئذٍ، فلما حضروا فقال لهم سليمان: أين سيدكم الهدهد؟ أ إنه ذهب إلى أمرٍ مهم أو غائب عن واجبه؟[90].

والجدير بالذكر هنا أن برويز تبع المدرسة العقلانية الهندية في شرح كلمة (هدهد) كما كتب محمد علي القادياني : المراد بالهدهد إنسان كان يسمى الهدهد ويتولى رئاسة الشرطة السرية في حكومة سليمان[91].

5- وأحيانا يكتب حديثا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يذكره من حيث الحديث، بل يقول: "يقول العرب هكذا"، يكتب في مادة "انس": استخدمت كلمة (الحمر الإنسية) في كلام العرب[92] و ذكر في مرجعه تاج العروس. ولكنا نجد في تاج العروس مكتوباً: كما جاء في الحديث أنه نهى عن الحمر الإنسية في يوم خيبر[93].

6- يقدم بعض الحقائق الثابتة المحققة على الفروض الموضوعة، كما يكتب تحت مادة (ن م ل): النمل جمع نملة وهي حشرات الأرض. وجاء في القرآن الكريم في قصة سليمان: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[94]. إن واد النمل تقع بين جبرين وعسقلان و يظن البعض هي تقع في أرض شام. ومهما يكن من الأمر، فهذا الواد ليس مسكن النمل (حشرات الأرض) بل هو مسكن قبيلة النمل وكانت النملة إمرة من هذه القبيلة [95].

فلنسلم بوجود مكان من الأرض اسمه وادي النمل؛ فهذا احتمال عقلي، ولكن ماذا نفعل في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾ وقولها ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ﴾ فهل يمكن لغة أن يكون الناس هم النمل؟ وماذا يقول المؤول في قوله: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ والضمير عائد عليها.

وقد عقد الأديب العربي المعتزلي أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ) فصلا في كتابه (الحيوان) عن النمل ذكر فيه من طبائع هذه الحشرة ما يدل على أنها آية من آيات الله، و يقول: "ومن العجب أن تفكر أنها توحي إلى أختها بشيء. والقرآن قد نطق بما هو أكثر من ذلك أضعافا. فقد أخبر القرآن بأنها قد عرفت سليمان، وأثبتت عينه، وأنه عليه السلام علم منطقها، وأنها أمرت صويحباتها بما هو أحزم وأسلم، ثم أخبر أنها تعرف الجنود من غير الجنود،

وقد قالت: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾،ثم بين أن كلام النمل قول ومنطق، وأنها تفصل بين المعاني التي هي بسبيلها[96]".

وكل هذا يدل على أن النمل عالم عجيب غريب، و هو من بعض آيات الله في خلقه. فإنّ العلم الحديث مؤيد لتكلمها ووحيها إلى أختها بشيء.

يخلص البحث إلى أن قد اعتمد برويز على المنهج اللغوي في تحديد معاني مفردات القرآن وفسر القرآن على أساس ذلك. هذا منهج مرفوض، لأن كثيراً من الألفاظ تدل لغة على معنى معين و أضاف الشرع إليها معان أخرى، مثل كلمة (الصلوة) فهي لغة الدعاء،و لكن الصلوة في المصطلح الشرعي عبارة عن الأفعال المخصوصة المعهودة مع الشرائط والأركان المخصوصة المذكورة في الفقه. فالثقافة المعجمية التي يعتمد عليها برويز في فهم القرآن غير كافية لفهم أي نص لغوي، فما بالك إذا كان النص هو الفرقان الحميد. كل تفسير لغوي وارد عن السلف يحكم بعربيته ،وهو مقدم على تفسير اللغويين.

يرفض برويز الحديث النبوي(على صاحبه الصلوة والسلام) من حيث المصدر التفسيري قائلاً: ولا تثبت حجية الحديث حسب العقل لأنه روي عن طريق السند فيما يقال: "وسمعت عن زيد وأنه عن عمر و أنه عن بكر وأنه عن خالد وأنه عن فلان و فلان"، والبيان الذي وصل إلينا مثل هذا السند ، لا يستحق أن يكون علماً أو شهادة"[97]. ويمكن أن يؤاخذ عليه أنه لماذا يعتمد في شرح المفردات القرآنية على الرواية اللغوية التي رويت عن طريق السند فيما يقال: "سمعت رجلاً من الأعراب" و"أنشدني رجل من البادية" و"أنشدني عمّي" و لا يعرف أحد منا هؤلاء المجهولين. أما علم الجرح والتعديل في رواية الحديث فقد بدأ في عصر الصحابة. وقد كان المحدثون أكثر إتقانا من رواة اللغة في السند و الاستناد وشدّدوا في الأسانيد لمعرفة كل رجل ورد اسمه في سلسلة الأسناد، لأن "معرفة الرجال نصف العلم"كما كان علي بن المديني(ت234هـ) يقول[98].

ومن العجيب أن يعتمد متعلم القرآن على أضعف الأسانيد معرضا عن أقوى منها. إن ائمة اللغة قد اعتمدوا دائما على آثار الصحابة في تعيين مفهوم القرآن الكريم واجتنبوا من أن يعتمدوا على رواية اللغة فقط. إن الأصمعي (ت216هـ) أحد ائمة اللغة،كان مع علمه الواسع شديد الاحتراز في تفسير الكتاب، فإذا سئل عن معنى شيء من ذلک يقول: "العرب يقول معنى هذا كذا، ولا أعلم بالمراد منه في الكتاب والسنة أي شئ هو"[99]. فيجب للمفسر الاعتماد على المأثور عن الصحابة و التابعين وأتباعهم.

إن برويز في كثير من الأحيان، يعتمد في طريق الاستشهاد على الفروض المجازية ويحمل الكلام على التمثيل أو التخييل ولا يقول بالظاهر. و الواجب أن يحمل كتاب الله جلّ وعزّ على الظاهر والمعروف من المعاني، إلاّ أن يقع دليل على غير ذلک. ولا يجوز العدول عن الظاهر إلا بقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي الظاهري. فكل تفسير ليس له أصل في لغة العرب فهو مردود، وهذا الضابط يرد كثيراً من التفاسير المبنية على المصطلحات الحادثة كتفاسير الطائفة العقلانية، والتفاسير المبنية على العلم التجريبي العصري وتفاسير الباطنية،وتفاسير الفلاسفة. وقد يكون شيء من المصطلحات من مصطلحات الأمم غير الإسلامية، فيجتهد الّذي يتناول تفسير الآيات في التوفيق بين ماجاء في القرآن، وماجاء عند هؤلاء الأقوام.

الهوامش

1. الجريدة : شعبه تصنيف وتاليف وترجمه،ص: 156
2. قاسمي، محمد دين، بروفيسر: غلام احمد برويز اپنے الفاظ كے آئينے ميں،ص:54
3. قد أصدر العلماء من أهل السنة فتوى ضد أفكاره وكفّروه لأجلها۔ (محدث : رئيس التحرير :حافظ عبد الرحمن مدني،جلد 34، عدد 89،ص: 110، رجب المرجب 1422ھ)
4. كتب د.عبد الودود (زميل برويز و مدير مجلس طلوع إسلام) مكتوبات إلى المودودي مستفسراً بعض الأسئلة عن حجية السنّة النبوية في التشريع الإسلامي و ردّ المودودي إليه بصورة المقالات المنشورة في مجلة "ترجمان القرآن" يحتوي الجزء الأول لكتاب "مقام السنّة في التشريع الإسلامي" عليها. (راجع للتفصيل: المودودي،ابو الأعلى،سيّد: سنت كى آئينى حيثيت، مقدمة)
5. نور الحسن نير، مولوى: نور اللغات،(كلمة :لغت)
   _ عبد الحميد، خواجه : جامع اللغات، 719/2
   _ احسان دانش : تذكير وتانيث ، ص: 346
6. برويز، غلام أحمد: مقدمة لغات القرآن، 1/ 19
7. المرجع السابق، 1 /21
8. المرجع السابق، 8/1
9. المرجع السابق ، 22/1
10. المرجع السابق، 10/1
11. المرجع السابق، 17/1
12. رشيد رضا، محمد : مقدمة تفسير المنار، 1/ 21
13. سورة المطففين ، الآية :4
14. برويز، غلام أحمد:لغات القرآن، 1/ 329
15. راجع: المرجع السابق ، 1 / 448، 449، 454 ، 455\
16. المرجع السابق ، 331/1
17. سورة الانفطار، الآية: 4
18. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن، 1/ 331
19. سورة الانفطار، الآيات:1 -5
20. ابن عاشور، محمد طاهر: تفسير التحرير والتنوير، 30 /152

21. سورة العاديات،الآية: 9
22. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن، 3/ 1320
23. سورة العاديات،الآية: 10-11
24. ابن عادل، الدمشقي: اللّباب في علوم الكتاب، 468/20
25. سورة الحج، الآية: 5
26. ابن عاشور، محمد طاهر: تفسير التحرير والتنوير، 17 /149
27. سورة النساء، الآية : 56
28. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن، 1/ 636
29. سورة النساء،الآية: 10
30. سورة النساء،الآية: 30
31. سورة البقرة،الآية: 61
32. ابن عاشور، محمد طاهر: التحرير والتنوير، 190/5
33. سورة البقرة ،الآية: 256
34. سورة التوبة ،الأية: 33
35. سورة الواقعة، الآيات: 86-87
36. سورة يوسف، الأية: 40
37. سورة يوسف، الأية: 76
38. سورة الفاتحة،الآية: 4
39. سورة الذاريات ،الآية: 6
40. نكرى، عبد النبي، القاضى: دستورالعلماء، 2 /83
41. سورة الفاتحة،الآية: 4
42. برويز، غلام أحمد: مفهوم القرآن، 1/ 1
43. سورة غافر ،الآية: 16
44. الطبرى،محمد بن جرير: جامع البيان عن تاويل أى القرآن، 150/1
45. سورة الذاريات ،الآية :6
46. برويز، غلام أحمد: مفهوم القرآن، 3 /219
47. سورة المائدة،الآية:3
48. برويز، غلام أحمد:مفهوم القرآن، 1/ 229
49. سورة ال عمران،الآية:85

50. الزمخشري، ابو القاسم جار الله: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 605/1
51. سورة البقرة ، الآية : 49
52. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن ، 1 / 353
53. سورة الأنبياء، الآية : 79
54. سورة سبا، الآية : 10
55. سورة الكهف، الآية : 47
56. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن، 1 / 415
57. المرجع السابق ،1/ 235
58. سورة الكهف،الآية: 47
59. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن، 236/1
60. سورة التكوير،الآية : 3
61. سورة النمل،الآية : 88
62. سورة القارعة،الآية : 5
63. سورة الواقعة،الآية: 605
64. سورة النباء،الآية: 20
65. الزمخشري، ابو القاسم جار الله: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 2/ 726
66. القرطبي، محمد بن أحمد، ابو عبد الله ،الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، 26/7
67. سورة العنكبوت،الآية: 14
68. برويز، غلام أحمد: جوئے نور، ص: 34
    - برويز، غلام أحمد: لغات القرآن، 2/ 911
    - برويز، غلام أحمد: مفهوم القرآن، 2/ 912
69. الرازى، فخر الدين: مفاتيح الغيب ، 25/ 36
70. الزمخشري، ابو القاسم جار الله: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، 445/3
71. الرازى، فخر الدين: مفاتيح الغيب، 37/25
72. العسكرى، ابوهلال: الفروق اللغوية ، ص : 271
73. الزبيدى، مرتضى: تاج العروس، 8/ 36

74. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، الحنفي: فتح الغفار بشرح المنار، 1 /119
75. ابن نجار، الحنبلي: شرح الكواكب المنير ، تحقيق: محمد الزحيلى ونزيه حماد، 3/ 195
76. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، الحنفي: فتح الغفار بشرح المنار، 1/ 25
77. ابن نجار، الحنبلي: شرح الكواكب المنير ، تحقيق: محمد الزحيلى ونزيه حماد، 3/ 198
78. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن، 422/1
79. رشيد رضا، محمد : مقدمة تفسير المنار، 12/1
80. سورة يونس ،الآية: 83
81. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن، 788/2
82. سورة الاعراف ،الآية : 107
83. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن، 398/1
84. سورة البقرة ،الآية : 60
85. سورة الشعراء ،الآية : 63
86. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن، 1169/3
87. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن، 445/1
88. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن، 1755/4
89. سورة النمل ،الآية : 20
90. برويز، غلام أحمد: مفهوم القرآن، 2/ 765
91. الندوى، ابو الحسن على: القاديانى والقاديانية، ص: 45
92. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن، 275/1
93. الزبيدى، مرتضى: تاج العروس، 190/8
94. سورة النمل ،الآية : 18
95. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن، 4/ 1665
96. الجاحظ، عمرو بن بحر، ابو عثمان: الحيوان ، 3/4- 5
97. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن، 11/1
98. الرامهرمزي، الحسن بن عبدالرحمن: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، ص: 420
99. الذهبي،محمد حسين: التفسير والمفسرون، 173/1

المصادر و المراجع

1. القرآن الكريم
2. احسان دانش: تذكير وتانيث، ط 1، لاهور، مركزى اردو بورد، 1970م
3. برويز، غلام أحمد: جوئے نور، ط 5، لاهور، اداره طلوع إسلام، 1999م
4. برويز، غلام أحمد: مفهوم القرآن،ط 5، لاهور، اداره طلوع إسلام، 1999م
5. برويز، غلام أحمد: لغات القرآن ،ط 3، لاهور، اداره طلوع إسلام، 1997م
6. الجاحظ، عمرو بن بحر، ابو عثمان: الحيوان،ط 2، دار الكتب العلمية بيروت، 1424ھ
7. الجريدة: شعبه تصنيف وتاليف وترجمه، جامعة كراتشي ،عدد 29، 2004م
8. الذهبي،محمد حسين: التفسير والمفسرون،شركة دار ارقم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت
9. الرازى، فخر الدين، محمد: مفاتيح الغيب ،لبنان، دار احياء التراث العربي بيروت، 1430ھ
10. الرامهرمزي، الحسن بن عبدالرحمن: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، ط.3، دار الفكر بيروت، 1404ھ
11. رشيد رضا، محمد : مقدمة تفسير المنار ، ط 2،لبنان، دار الكتب العلمية بيروت، 1424ھ
12. الزبيدى، مرتضى: تاج العروس ،لبنان، دار الفكر بيروت، 1994م
13. الزمخشري، ابو القاسم جار الله: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،ط 3، لبنان، دار الكتاب العربي، 1405ھ
14. الطبرى، محمد بن جرير: جامع البيان عن تاويل أى القرآن، ط 3، لبنان، دار الكتب العلمية بيروت، 1999م
15. ابن عادل، الدمشقي: اللّباب في علوم الكتاب، لبنان، دار الكتب العلمية بيروت، 1419ھ
16. ابن عاشور، محمد طاهر: التحرير والتنوير ،ط 1،لبنان، مؤسسة التاريخ بيروت،1420ھ
17. عبد الحميد، خواجه:جامع اللغات،ط1، لاهور،اردو سائنس بورد
18. العسكرى، ابوهلال: الفروق اللغوية ،مصر، دارالعلم والثقافة للنشر والتوزيع القاهرة
19. قاسمي، محمد دين، بروفيسر: *غلام احمد برويز اپنے الفاظ کے آئینے میں*،الطبعة الثانية،لاهور،بيت الحكمت،2006م
20. القرطبي، محمد بن أحمد، ابو عبد الله ،الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن ،ط 2، مصر، دار الكتب المصرية القاهرة، 1384 ھ

21. محدث: رئيس التحرير :حافظ عبد الرحمن مدني،جلد 34،عدد 89، رجب المرجب 1422ھ
22. المودودي، ابو الأعلى،سيّد: سنت کی آئینی حیثیت،
23. ابن نجار، الحنبلي: شرح الكواكب المنير ، تحقيق: محمد الزحيلى ونزيه حماد ، مكة المكرمة، جامعة أم القرى
24. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، الحنفي: فتح الغفار بشرح المنار ، مطبعة البابي القاهرة ،بدون التاريخ
25. الندوى، ابو الحسن على: القاديانى والقاديانية ،ط 5، الدار السعودية ،1403
26. نكرى، عبد النبي، القاضى: دستورالعلماء ، ط 1، لبنان، دار الكتب العلمية بيروت، 1421ھ
27. نور الحسن نير، مولوى: نور اللغات، كراتشي: جنرل ببلشنک، باكستان،1959م

*_*_*